المنظر المسرحي بيئة أم خلفية؟! الاتجاهات الحديثة في فن المنظر المسرحي

أ. متمرس / سامي عبد الحميد

كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد

مقدمة:

عندما قام الاغريق القدماء بتحويل الممارسة الطقسية الدينية الى ممارسة حياتية مدنية، بتحويل الطقوس الدنيوية الى مسرحيات ينقسم فيها المشاركون الى ممثلين ومتفرجين. كان عليهم ان ينقلوا ممارساتهم تلك من المعبد الى مكان اخر هو المسرح. وهكذا قاموا ببناء اول بناية خاصة هي مسرح (ديونيسوس) في اواخر القرن السادس قبل الميلاد والذي اقيم على تخوم معبد ديونيسوس في منحدر جبل تحت الاكروبوليس. (Brocket, p. 31) وكان الجدار الموجه للمدرجات التي يجلس فيها المتفرجون والمسمى (سكينا) هو المنظر الثابت لجميع المسرحيات التي كانت تقدم في ذلك المسرح في بنايات المسرح المشابهة ومهما اختلف مؤلف المسرحية وموضوعاتها واحداثها وشخوصها. ويقول المؤرخ فيتروفيوس ان الاغريق قد استحدثوا (البرياكتوي) المجسم الهرمي لثلاثة اضلاع تمثل خلفيات لثلاثة انواع من المسرحيات هي التراجيديا والكوميديا والساتير(Brocket, p. 45) وهكذا فقد كان جدار السكينا خلفية منظرية لشخوص المسرحية وليس بيئة يعيشون فيها. وظل الحال كذلك في العصور اللاحقة. فقد كانت المسرحيات الدينية في القرون الوسطى تقدم على منصة خلفيتها ثلاث مناظر تمثل الجنة والجحيم والحياة بينهما وفي عصر النهضة بنيت المسارح المغلقة كمسرح العلبة الايطالي.

واستخدمت المناظر المرسومة على الستائر ظلت تلك المناظر خلفية للممثلين لا يستطيعون التعامل مع مفرداتها كما لو كانت مفردات بيئية. بينما بقيت الواجهة المقابلة لمقاعد المتفرجين في مسارح العهد الاليزابيثي ومسرح الكرة ومسرح الاوزه وغيرها ــ مناظر دائمية لمختلف مسرحيات شكسبير وغيره من الشعراء. ولم تستخدم الغرف المسرحية في عروضها انذاك المناظر المختلفة بل كانت تستخدم بعض المفردات والأثاث للدلالة على تغيير المكان. (Banke, pp.28-29).

وعندما ظهر الاتجاه الواقعي والطبيعي في منتصف القرن التاسع عشر وعندما اخذ المخرجون يفكرون في ملائمة المنظر لاماكن حدوث الأحداث والشروع بالآخذ بمبدأ الإيهام بالواقع ظهر المنظر المجسم ذو الأبعاد الثلاثة بدلا من المنظر المرسوم ذي البعدين. وحاول أولئك المخرجين ان تكون مناظر مسرحياتهم قريبة الشبه بالاماكن الحقيقية بل ان بعض المخرجين قد تطرفوا في تطبيق مبدأ الإيهام بالواقع فراحوا يستخدمون مفردات ديكورية طبيعية غير مصنعة خصيصا للمسرح وكان على رأس أولئك المتطرفين المخرج الفرنسي (اندريه انطوان) الذي استخدم عدة تفاصيل طبيعية في مناظر مسرحياته كما حدث كثلاً عند اخراجه لمسرحية (الارض) التي أعدها عن رواية لزولا عام ١٩٠٢ وقبل ذلك في مسرحية (هايدلسبرغ القديمة)

عام١٨٨٨ و(الخزامون) لفيرناند ايكر. مفردات حلبه من اماكن حقيقية مثل محتويات غرفة احد الطلبة وقطع اللحم الحقيقية. (Broeket, findlay, p.91) وهكذا طلب من الممثلين ان يتعاملوا مع تلك المفردات كما لو كانوا يتعاملون معها في الحياة وبذلك يصبح المنظر ومحتوياته بيئة تعيش فيها الشخوص وليس خلفية لتسلسل احداث المسرحية. وعند ذاك اخذ الدارسون يطرحون التساؤل:

هل من الضروري ان يكون المنظر بيئة ام يظهر مجرد خلفية؟ وكان على رأس اولئك المصممين والمخرج الامريكي (موريخاي كمومبلسك) الذي ناقش تلك المسألة من منطلق النقيد ومبدأ الايهام. (gorelik, p. 55). وقد احدث النقاش عندما ظهر اولئك الثلاثون الجدد الذين رفضوا الواقعية ودعوا الى جمالية جديدة تتحقق فيها عناصر الخيال المسرحي عن طريق الاختزال والرمز والحدس وبذلك الخط المتحرر نفسه الذي اخذ الرمزيون واتباعهم وما خلق بهم من اصحاب الاتجاهات الحديثة التعبيرية والتكعيبية وما زالت تمثله المستقبلية والسيور باللة. ويختلف الايهام بالواقع واتباع المثاليون الجدد امثال كريك وابيا وز فيجارت وماير هولد وكومو. يتفقون في مبدأ (المسرحية) او المسرح (Theatreality) واتجاههم في ذلك المبدأ عند من المبكريين الرومان و الفرنسيين والالمان.

الاتجاهات الحديثة في فن المنظر المسرحي

لم يكن هناك اتجاه منفرد ومستقل عن الاتجاهات الاخرى في فن المنظر المسرحي الحديث. فقد تداخلت الاساليب والقيم اتجاه عناصر من الاتجاه الاخر وبذلك جمع الاتجاهات الجديدة في اتجاهها. فبدلا ان كانوا في الواقعية وكان الدافع العام وراء ذلك هو التقييد والتحديد. وكانت جميع الحركات المضادة للواقعية قد اعتمدت على التبسيط وعلى الرمزية والاسلوبية والتكعيبية والبلاستيكية والتركيبية والتكعيبية. وفي توجهاتها نحو الاستطراد في الفراغ والالقاء الضوء عليها لابعاد الانتباه عن الاشياء الخاصة والاكثر على الواقعية في المنظر المسرحي.

الواقعية:

ظهرت اولى بوادر الواقعية في المنظر المرسوم الذي يحاكي المكان وانوعه المكان الحقيقي. و تعتمد هذا المنظر لتعدد ملائمته مع المشاهد

الابعاد الثلاثة وكان على رأس المشهدين (ادولف ابيا) عند مشاهدته انتاجات فناكر الدانية ـ المرسيقية (Brocket, findlay p.201) وجهت عدة اتهامات ضد الواقعية واهمها ثلاث مهمة هي توجيه انتباه المتفرج عن الممثل اولا. واضعاف الايهام عند المقاربة ثانيا وتخريب المسافة الجمالية اخيرا. (Dolman, p303, 302) وهناك من يقول اذا ما كان المسرح في منطقي فسادا لا يوقف مجسيوداته جعد اكثر واقعية. ومقابل تلك الاتهامات قدم الواقعيون حججا عديدة للدفاع عن اتجاههم ومن تلك الحجج تحقيق العمق في التمثيل المنظوري لمكان الاحداث. واصروا على ان اللاواقعية قد تكون اكثر اقناعا وايهاما للمسرح. واعتقدوا ان المسرح لم يخل عن المنظر الواقعي لانه اكثر اقناعا للمتفرج حيث لا يعترض على التفاصيل ولانسجت انتباهه طالما تفصل الكاميرا تعلقها في التركيز على الممثل. وفي مجال التوفيق بين الاتجاهي الواقعي واللاواقعي عمد بعض المصممين الى تبسيط المنظر الواقعي واختزال تفاصيله ففي مشهد السوق في مسرحية (وليم جولس) تميل الجمع بين الواقع واللاواقع. اذ يمكن الابقاء على الشرفة ويعكس الضوء التفاصيل الخاصة بها والخاصة بالجدران حولها. وقد تضرب الواقعية المبسطة من الرمزية حينما تكون مهمتها الرئيسة اغراض المكان والتأكيد على الجو في لحظة ما وحين يتم الاختزال والابسلبة بحذف معينة من عناصر المكان وتقريب النجو النفسي.

الرمزية:

الرمز كما نعرف هو شيء ينوب عن شيء اخر ورغم معظم فصالات البشر بواسطة الرموز سواء كان كلمات مكتوبة ام مطبوعة، او اشارات صوتية ام حركية. وقد استخدمت الرمزية في المخططات والاكسسوار والكثير استخداماتها في الخلفية المنظورة فهي المسرح الحديث لرمز الغصن الذي يوحيه بقطعة صغيرة من الطحلب.

التصديق في الرمزية على العرف . فالمشاهد الصيني مثلا لا يضحك عندما يرى ممثلة تتعامل مع العصا كأنها طفلها في حين قد يضحك المشاهد الاوربي على مثل ذلك التعامل لأنه ليس من أعرافه . في الاتجاه الرمزي يمكن وضع شجرة موحدة على خشبة المسرح للدلالة على وجود غابة وكان الفرح في العهد الاليزابيثي يقتنع بوجود غابة أو يقتنع بوجودها عندما يظهر عامل المسرح وهو يحمل رقعة كتبت عليها عبارة (غابة أردن) (Dolman,b.380).

الأسلوبية :

ترتبط الاسلوبية بالرمزية في مجال المنظر المسرحي الا أنهما يختلفان في الغرض حيث تعتمد الرمزية على الفكر والجو الرمزي بينما تعتمد الاسلوبية على الطريقة . وتقتصر الاسلوبية على طريقة تزيين الخلفية المنظرية وتقي العناصر الانتاجية الأخرى للمسرحية واقعية . ولعل أفضل مثال للمنظر الاسلوبي هو ذلك التصميم الذي قام به (روبرت ادموند جونز) لمنظر مسرحية الثالوث فرانز والرجل الذي تحبه امرأة خرساء حيث زينت الخلفية المنظرية توبا لانعكاس مصابيح الطريق العمومي لقصر فرنسي من القرن الثامن عشر وعندما قامت فرقة المسرح الحديث تلك المسرحية في بداية الخمسينات وعلى مسرح قاعة الشعب ، اختلف فيصل سابقا ، حاول المصمم الفنان ابراهيم الشيخلي ان يعطي لتصميمه ملامح القصر الفرنسي فلقد لجأ الى الواقعية في تصاميم مسرحية (الطابور الاول) لمسرح بابل والتي قدمتها فرقة مسرح موسكو الفني كانت الخلفية المنظرية عبارة عن صور شبيهة بصور قصص الاطفال وهكذا فان المنظر الاسلوبي ، هي مناظر تقديرية وأكثر حرية (Dolman,b.389).

التكعيبية :

يذهب بعض الفنانين التكعيبيين الى اختزال المنظر المسرحي الى ابعد حد و لاعتماد على معمارية مكان العرض من دون اضافات . كما يفضل البعض الاخر تأكيد المنظر التوحي للخلفية المنظرية حتى ان بعض تلك التوجيهات أمرا ثانويا في الاهمية . ويرغبون انه محاولة لجعل المنظر جزءا من العرض المسرحي بل كيانا مستقلا بذاته . ولعل افضل مثال للتكعيبية ما قام به المخرج الفرنسي (جاك كوبو) في مسرح الفيو كولومبيا (حيث استخدم المنظر الثالوث الناعم حيث يكون البناء المعماري الاساسي هو العنصر الوحيد التكعيبي وتخضع الاشكال المضافة الاخرى مهمة التغيير في المكان . ويمكن اعتبار المسرح في الفضاءات الحرة ومسرح الشارع ومسرح الحلبة والمسرح الذي يعتمد الاضاءة عوضا عن المنظر انواعا مختلفة من التكعيبية (Dolman,b.310).

التعبيرية :

استعارة التعبيرية في المسرح الكثير من الفنون الاخرى وخصوصا فن الرسم ويمكن اعتبارها تطويرا للانطباعية . والتعبيريون لا يريدون انطباع الفنان عن الطبيعة على اختزالا للطبيعة . يريدون نظرة الفنان الابداعية وليس ملاحظته ، يريدون تعبير الفنان وذاته . يريدون اختزالا في الواسطة وفي الخصائص . يريدون تحويل الطبيعة وتحرير الروح والكشف عن العواطف . ومن هنا انتقلت التعبيرية الى المسرح حيث أصبح اللاوعي هو الدافع الاساسي للتعبير واصبحت الصور الحلمية هي واسطة التعبير حيث التشوهات والمبالغات في العناصر البصرية هي العادة ، جدران آيلة أن تسقط اشجار تتحول الى هياكل عظمية ، ظلال على الوجوه والشخوص تتحرك حركة آلية الابعاد صغيرة الاستدارة تشويهات ومبالغات في الاشكال والالوان والاحجام لغرض التأكيد على عامل ابتعاد عن الواقع (Brokett , Findlay , 272) كما أن التضاد الجاد بين منظر تعبيري واخر حية من سمات المنظر التعبيري وهو أكثر المناظر المسرحية وضوحا في الاتجاه التعبيري ما حدث في مسرحية الضامنة (عزة الدكتور البخاري) التي تتطور الى جنون الشخصية الرئيسية حيث برزت التشويهات والتخريفات والمبالغات في الاشكال والالوان والاحجام .

التكعيبية :

اختار البعض من مصممي المناظر المسرحية التجسيمات الهندسية التكعيبية في الرسم وقد يدأت التكعيبية نوعا من التعبيرية حيث استخدمت التجريد الضروري لخدمة الغرض التعبيري وذلك باستخدام الخطوط والسطوح والكتل والالوان لخلق تكوينات غير منطقية تعتمد على المربعات والمستطيلات لخلق الجو النفسي والسيادة العاطفة بواسطة التكوين البصري . كما اضاف البعض منهم المثلثات والاشكال الهندسية الاخرى الى تكويناتهم وكان الهدف من تلك التكوينات رؤية الكتل من جوانبها المختلفة في آن واحد . وقد يكون المنظر التكعيبي توبيا مجردا في جزء منه ورمزيا في جزء آخر .

التركيبية :

ومن هذا الاتجاه المخرج الروسي المعروف (فيز فولد مير هولد)

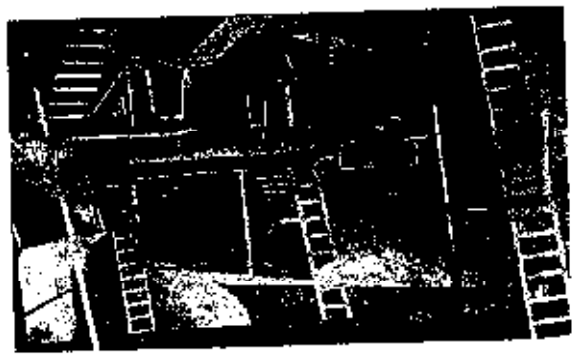

واعتمد ان المنظر التركيبي خطوة متقدمة على المنظر التعبيري وذلك باعتماده مكونات آلية عضوية (بايوميكانكا) وجمع المنظر التركيبي على عناصر واقعية الى جانب العناصر اللاواقعية وهو منظم لا منطقي من السلالم والمنحدرات والسلالم والعجلات . ليس هناك مشهدا لكن معين . والمتركيبة ثلاث بواعث محددة :

اولا : توفير تنظيم مرن ومتنوع لمقتضيات المسرحي .

ثانيا : تحرير الفعل الداخلي للمسرحي وعدم الوقوع في أوهام الحسيان الخارجي في شكل الفعل الزيفي

ثالثا : تصوير عصر الآلة وروحه . والمثل حال للمنظر التركيبي مشهد مير هولد (في منظر مسرحية (المنحدر الرابع) لمؤلفها البلشفي فرياسف كورمبلاتف وتمثل الفنان التركيبية الروسية ... بعد ان استمد ان المؤسسة المنحدر التركيبية حتى يكتسب المثل المنظر من منحدرات مختلفة الارتفاعات وسلالم وارتفاعات ومنحدرات وأشياء غريبة غير معقلة (Brocket,findlay,p.323) والتركيبية ... بناء متبلغها عندما يتطرق المصمم في تكوينات حيث تترتب المسرحي الاساسي للمخاطبة البطرية وتكشف عن النتح وتشويش الذهن.

السوريالية :

يشترط السوريالية على التعبيرية لكونها تعبر عن اللاوعي الا ... استخدام رموز الواقع غير المألوفة واستغلاله وتقوم مجتمعي ... عن اعتبار منطق الرؤيا والحلم كما هو الحال في العروض الحديثة مكونات السوريالية غير مبررة كليا. مجموعا غير منطقي وغير مقصود وعناصرها غرضية والتجريد ضمن عالمه المسرحي الذي يرتضيها السوريالية شاحبة الوانها تثير العاطفة وفيها كثير من الغرابة اجزاء من جسم الانسان ممزقة وحشرات هائلة الحجم والشجار متكسرة وبيوت مهدومة وساعات متموجة . كل ذلك تعبيرا عن خلل نفسي عن مرض العصاب وذات توجه ساوي تعبير عن الكبت الضروري وأحسن مثال للمنظر السوريالي هو ما قام به سلفادور دالي من تصميمه الذاتية مسرحيها بمسرح سوزان هيس ، سالومي (Brocket,findlay,p.635) .

خاتمة :

ويمكن ان نستنتج من كل معطيات الاتجاهات المختلفة في تصميم المنظر المسرحي ان اغلب تلك التي تعرض المواقف تعتمد على المنظر الحقيقي وليس البيئة . وتتفق معظم الاتجاهات اللاواقعية على ضرورة جعل العناصر غير الضرورية في المنظر المسرحي تابعة للعناصر الضرورية . ونستنتج ايضا ان الواقعية الافضل هي الواقعية البسيطة وان المزية الافضل هي التي توفر الجو النفسي والاسلوبي الافضل هي البعد والقوة والتذكارية الافضل هي التي يظل فيها المنظر حقيقة والتعبيرية الافضل هي التي تكشف عن التجربة الداخلية للمخرج ويبقى الاهم والافضل هو ان لا يكون المنظر المسرحي عائقا لأفضل ذهن المتفرج وان اكد بحسن عن العنصر الجوهري لان المسرح الازهر المثل و الاهم والافضل هو اعداد الفصل الدرامي وابراز قصة الفصل المسرح

المراجع :

1. Brockt, Oscar, History of the theatre, (Boston, Allyn; Bacon Inc. 1974).
2. Brockt, Oscar, Robert R. findlay,century of Innovation, (new Jersey, Prentice-Hall,Inc.1973).
3. Banke, Cecile, Shakespereun stage production shen o now (London, Hutchinson, 1954).
4. Dolman, John, The Art of plas production, (new York, Harper, Brothers Publisiers,1916).
5. Gorelik mordecai, New Theatres for old, (New York ,P, DuBonteo Inc.,1962).